Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 35:1 (2000)

علم المستقبليات والتعليم والإبداع والكتابة الإبداعية
مقدمة لنظرية اللغة والأدب وتطبيقاتهما

تأليف: إكرام أعظم

عرض: شعبان محمد مرسي

يميل الناس عادة إلى الماضي؛ لارتباطهم بأسلافهم، فتراهم يتكلمون عنه بحنان وعطف، حتى إنك لو جلست مع شيخ كبير، أو سيدة عجوز، وتبادلت معه أطراف الحديث تجده يذكر طفولته، وأيام صباه، ومسارح لهوه، وأباه وأمه، وكيف كانا يأتيان له بالهدايا في تلك الأيام الجميلة، وأصدقاء عمره الذي كان يانعًا، كل ذلك وأكثر منه يحكيه العجوز وقد استولت عليه روح من أرواح الرومانسيين التي لا تكف عن استرجاع الماضي السعيد، والتي تهرب من الواقع غير المرضيّ إلى ذلك الزمان الرائع الذي وَلّى، ولن يعود. وكم تكون سعادة

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

العجوز عندما يجد شابا صبورا يستمع إليه، ويحسن الاستماع! إنه يحبه، فيقص عليه قصصه، ويحكي له ماجرى بينه وبين أترابه أيام كان غضّ العود، ناضر المحيّا، ثم يدركه التعب من القص، فيصمت صمته الأسيان، ويتراءى له واقعه الحاضر، فيتمتم بكلمات تعترضها غصة؛ إنه يرى العصا التي يتوكأ عليها؛ فرجلاه قد عجزتا عن حمل هذا الجسد الذي كان يوما خفيفا، هاتان الرجلان اللتان كانتا تسابقان الحصان. ما أسعد الماضي وما أشقى الحاضر!

مثل هذا الموقف تقفه الأمم، فتراها تميل إلى ماضيها، وتسترجع تاريخها، وتلّم آثارها، وخاصة تلك الدول التي كان لها حضارة زاهية زاهرة في الماضي، وتتلفت في الحاضر فتلفي حصانها هزيلا أعرج. إنها تنطوي على نفسها، وتظل تحكي كيف كانت يوماً ما، تودّ لو انسلخت من واقعها الماثل. وقد ثار كثير من المفكرين والأدباء على هذه الحيال، ودعوا إلى العناية بالحياة الحاضرة، والاهتمام بالواقع المعيش، وغض الطرف عن الزمن الذي انقضى؛ من أجل ذلك ظهر الاتجاه الواقعي في القصة والمسرحية والمقالة والسياسة والفكر والبحث العلمي. وطلت موجة رعاية الواقع الحي تعلو وتمتد حتى مدت عنقها نحو المستقبل، فظهرت الأفكار المستقبلية، وتولد التيار المستقبلي على يد الشباب الجديد المندفع نحو الأمام، والذي ينسى أحيانا حاضره البهيج بتفكيره العميق في مستقبله الوردي.

ظهر التيار المستقبلي في أروبا وأمريكا غربا، وفي اليابان والصين شرقا،ثم انتقل على استحياء إلى باقي الدول أو إلى أنحاء مختلفة من

العالم. ومن هذه الأنحاء جمهورية باكستان الإسلامية. نشأ فيها اتجاه يعنى بالمستقبل، يتوثب ليسابق الزمان، وينهض بالبلد في شتى الجوانب، ومن هؤلاء الذين يتولون التفكير في المستقبل الدكتور إكرام أعظم، وهو مؤلف الكتاب الذي نعرضه هنا؛ لكي يعرفه القراء، ويستفيدوا منه. وقد كتب المؤلف كتابه باللغة الإنجليزية التي تخصص فيها، وعنوانه:

FUTURISTICS. EDUCATION. CREATIVITY AND CREATIVE WRITING. AN INTRODUCTION TO THE THEORY AND PRACTICE OF LANGUAGE AND LITERATURE.

وقد نشر الكتاب المعهد الباكستاني للدراسات المستقبلية، في إسلام آباد. والدكتور إكرام حصل على شهادة العالية في اللغة الإنجليزية، ونال درجة الماجستير فيها، وكذلك الدكتوراه في الأدب الإنجليزي، كما علت همته فدرس العلوم السياسية، والدفاع والاستراتيجية، والدراسات المستقبلية، وحمل في كل منها درجة الماجستير، ثم حصل على شهادة دكتوراه أخرى في العلاقات الدولية المستقبلية. وهو عضو نشيط في عدة مؤسسات محلية وعالمية، منها المجلس الأعلى للمعهد القومي للدراسات الباكستانية، والجمعية العالمية للدراسات المستقبلية (WFS)، والاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية (WFSF) بالولايات المتحدة الأمريكية. وهو رئيس معهد الدراسات المستقبلية في باكستان (PFI).

وضع الكاتب مؤلفات عديدة في مناهج الدراسات المستقبلية وموضوعاتها، وله شعر وقصص كثيرة جديرة بالدرس والعناية والترجمة، ومنح عدة جوائز، منها جائزة من جامعة ساوثرن في

كاليفورنيا سنة ١٩٨٤م.

والكتاب الذي نعرضه من الكتب المفيدة الغنية بالمادة العلمية. وقد قسمه صانعه فصولا، عددها ستة وعشرون، بالإضافة إلى مقدمة في أول الكتاب ومُلحقَيْن وفهارس في آخره. ومادة الكتاب تشتمل على التعليم الجديد في المستقبل والإنسان المبدع والأنواع الأدبية والدراسات المستقبلية. وكل صنف من أصناف هذه المادة موزع في عدة فصول. وإليك تفصيل المجمل:

(١) التعليم:

هو مفتاح التغيير الاجتماعي والتطور المرغوب، وهو الذي يعدل السلوك الإنساني. والتعليم الحقيقي هو الذي يهدى الإنسان إلى كيفية الحياة، ويقوم الاهتمام والعناية بالعلوم العملية والتقنية بدور فعال في إعداد المتعلم لاكتساب المهارات الأساسية للحياة الكريمة، بالإضافة إلى العلوم الإنسانية والتعليم الجديد في القرن الحادي والعشرين يتجه نحو الحياة الفاضلة التي ترتكز على عدة مفاهيم أو أصول عامة هي:

أ- الحاجة إلى السلام.

ب - حل المشكلات الإدارية ووضع خطة للمستقبل.

ج - التعامل مع الناس.

د - الاتصال بالآخرين.

هـ - متابعة التغير الاجتماعي.

و- تطوير الإنسان لنفسه.

ويلاحظ الكاتب أن التعليم في باكستان مازال ينظر إلى الماضي

أكثر من نظره إلى الحاضر أو المستقبل، وأن طريقة الحفظ والتسميع هي المسيطرة على نظام التعليم، وهذه الطريقة لا تربي عقلا مفكرا. ويبدو لي أن المؤلف مصيب في نقد هذه الطريقة التعليمية إلى حد ما، ولكن العلاج لايكون بمحو هذا النهج؛ لأن الحفظ والتسميع مفيد غاية الفائدة إذا اقترن بفهم المحفوظ وفقه النصوص. فالأفضل أن نحافظ على هذا المنوال وأن نضيف إليه الفهم الكامل، ثم النقد فيما بعد بغية الوصول إلى الأحسن. وفي العلوم الطبيعية والعملية لاتكفي الدراسة النظرية، وإنما علينا أن نطبق وأن نجرب، والمنهج التجريبي هو المنتج في هذه الناحية.

ولغة التعليم المنتجة هي لغة الأمة، ويجزم المؤلف بأنه ليس هناك أمه تستطيع أن تنتج مفكرين أصلاء أو تبدع فكرا حقيقيا دون أن تعلم أبناءها بلغتها الخاصة ولاشك أن رأيه هذا صحيح، ولكنه يصطدم بتعدد اللغات في بلد مثل باكستان، فكيف يكون الحل لهذه المعضلة؟ يقترح الكاتب حلا هو أن تدرس العلوم الطبيعية والتكنولوجية باللغة الإنجليزية، وأن تدرس العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات المحلية أو القومية. ويعتقد صاحب الكتاب أن هذه الازدواجية اللغوية في التعليم ستفيد باكستان لأن اللغة الإنجليزية لغة دولية عالمية، كما أنها تحمل تراثا علميا كبيرا. ويشترط أن تعلم هذه اللغة في باكستان بطريقة صحيحة؛ لأنها ـــ كما يرى ـ الآن تدرس بأسلوب مليء بالأخطاء، سواء أكانت

الأخطاء في الأصوات أم في الصرف أم في النحو أم في دلالة الألفاظ عينها.

ولما كان التعليم فنا من الفنون المهمة فإن معهد الدراسات المستقبلية في باكستان قد وضع خطة استمرت منذ سنة ١٩٩٢م حتى سنة ١٩٩٨م لتطوير التعليم. والعناصر المهمة في هذه الخطة هي:

١- كل التعليم، ولو كان في الحاضر، هو أصلا للمستقبل، ومع ذلك ينبغي أن يكون مستقبليا.

٢- يجب عليه أن ينجز الأغراض الثلاثة الدائمة للتعليم، وهي الغرض الأخلاقي والغرض المادي والغرض الإنساني العام.

ويتصل بتحقيق الهدف الأول العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويرتبط بالثاني العلوم الطبيعية والتقنية، وكلها تؤدي إلى الثالث.

٣- نظام التعليم يحتاج إلى الالتزام بالمذكور آنفا على المستويات الشخصية والاجتماعية والقومية جميعا.

٤- نظام التعليم ينبغي أن يكون مسؤولا عن الاقتصاد القومي، وذلك يحتاج إلى تعاون جوهري بين التخطيط والتدبير الاقتصادي والأقسام التعليمية التي تقابله.

٥- على التعليم أن يعد الإنسان لأن يحيا حياة طيبة بنجاح وسلام وإبداع في كلا الجانبين: الأخلاقي والمادي.

٦- نظام التعليم الحالي في باكستان لايعلم المرء كيف يفكر، وهذا ينبغي علاجه بمهارات الحياة الأساسية في الاتجاه السائد في التعليم ونظمه.

٧- صنف المعهد الباكستاني للدراسات المستقبلية مهارات الحياة الأساسية صنفين: أ- **المهارات الأساسية**. ب ـ **المهارات الثانوية**.

٨- أ) المهارات الأساسية: مهارات إنسانية، قدرتها مركوزة في الطبيعة البشرية: وهي تشمل مهارات التفكير والاتصال كتابيا وشفويا، ونقل المهارات وتغييرها وتحويل الاتجاه النفسي إلى الواقع.

ب) **والمهارات الثانوية:** مهارات تكنولوجية. إن نظام التعليم يجب أن يزود بكلا النوعين على حسب حاجات المجتمع والميول الذاتية وأهلية الشخص أو الأفراد.

٩- المصادر المادية جوهرية لنجاح أي نظام، ويجب أن تكون مساوية له، ومناسبة لهذا التعليم على الأقل، إن لم تزد.

١٠- المصادر الإنسانية أكثر نقدا للتعليم وللتطور الاجتماعي الكلي.

١١- المدرس هو مفتاح التعليم.

١٢- المدرس لا شيء إذا لم يكون مبدعا.

إن المدرس بصفته فنانا مبدعا هو الذي يشكل المبدع للحياة الإنسانية الفاضلة، وهو الذي يوجه إلى قراءة الكتب القيمة، وهو الذي ينشئ الحياة الواقعية والشخصيات الأسطورية في أعماله الأدبية، والمبدع وحده هو الذي يقرر أن يبدع مبدعين. هذا المعلم المبدع قدوة يقتدي به الطلاب؛ ولكي يكون قدوة مؤثرة أشد التأثير ينصح المؤلف هذا المدرس بعدد من النصائح القيمة، نسوقها هنا مختصرة كالآتي:

١- حاول أن تكون متزنا وسعيدا في نفسك وعملك.

٢- طبق ماتعظ به غيرك على نفسك في الفصل وخارج الفصل.

٣- تلاميذك حب البحث عن المعرفة والسعي لفهم الحياة.

٤- مهما يكن موضوعك فعليك أن تصله بقيم التعليم التي ترشد إلى كيفية المعيشة السعيدة الناجحة والمسالمة.

٥- حاول أن تخدم أهداف التعليم المستمرة التي تشمل الجانب الأخلاقي والاقتصادي.

٦- شجع الطلاب على السؤال طلبا للمعرفة، ووجههم إلى القراءة لبناء الخيال والحدس لكي يكونوا مبدعين في المستقبل.

٧- كن لطيفا وعطوفا مع الطلاب، ولاسيما الضعفاء منهم.

٨- لاتكن غامضا في شرحك،وإن حدث شيء من الغموض فعليك أن توضحه.

٩- كن تلميذا، أي تضع نفسك مكان الطالب لتشعر بظروفه.

١٠- كن نموذجا في التواصل ومهارات الاتصال.

١١- اكتشف أحسن ما في تلاميذك وطوره.

١٢- كن مخلصا ودع النفاق.

١٣- كن موضوعيا.

١٤- ظل طالبا تقرأ وتبحث.

١٥- استخدم المنهج النفعي والاتصالي، أي أن تستعمل الدرجات في تشجيع المجتهدين وتحريك الضعاف.

١٦- التعلم من الحياة والخبرة لمواجهة الحاجات الاجتماعية.

١٧- تشجيع الطلاب ليصبحوا أساتذة، وتدريبهم على ذلك.

١٨- التأكيد على التعليم المتميز.

١٩- خلق النشاط بين الطلاب داخل الفصل.

٢٠- تنمية المشاعر لدى الطلاب تجاه الحياة ومشاكلها.

٢١- التهذيب الإبداعي والتجريبيي لمنهج التدريس على حسب الحاجات المتغيرة لكل فصل وكل موضوع.

٢٢- الانتقال التدريجي من اليسير إلى العسير.

٢٣- الانتقال من الخاص إلى العام أو من العام إلى الخاص طبقا للموقف وعلى حسب حالة الطلاب ومدى تجاوبهم.

٢٤- وضع مستويات للطلاب بغية تنشيطهم، ولتكن البداية من المستوى المنخفض إلى المستوى المرتفع.

٢٥- كن أبا عطوفا حازما.

إن الأستاذ المتميز هو الذي يراعي مشاعر تلاميذه وأفكارهم وأعمالهم، ويحاول أن يجعلهم أناسيّ مبدعين نافعين في الحياة، وأن تكون شخصية كل منهم كاملة مستقيمة ومستقلة في الوقت عينه، وكذلك يعلم حسن الاتصال. وقد عرف المؤلف الاتصال بأنه الرغبة في الحديث إلى الآخرين وإعطائهم معلومات وأخذ معلومات منهم بوسائل الاتصال المختلفة كالحديث المباشر والصحف والإذاعة المرئية والمسموعة، وتبادل الأفكار والعواطف بالخطابات أو بالهاتف. ومن هذا التعريف نرى أن نظام الاتصال يتكون من جزء ين: الأول مهارات الاتصال ، والثاني وسائل الاتصال. وعناصر الاتصال هي المتصلون والموضوع والغرض والرسالة والمكان والزمان والظروف والوسيلة أو اللغة. كانت العرب تقول: " إن العقول تتلاقح" ولا يمكن أن يتم هذا

التلاقح إلا في جو يمتاز بالحرية واحترام الآراء المختلفة، فإذا كانت راية الحرية ترفرف على المجتمع فإن الناس يتواصلون بإخلاص، ويبدون آراءهم دون خوف، ومن هنا تظهر الآراء الصائبة التي تفيد المجتمع.

(٢) الإنسان المبدع:

الإبداع خلق وإنتاج، وقد عرّف الكاتب المبدع بأنه كائن رفيع، ونتاج عقله وخياله هو الإبداع، وخاصية الإبداع موجودة داخلنا نحن البشر. إننا نولد بها، ولكنها تحتاج إلى كشف ورعاية، والله خلق الإنسان لكي يبدع، والمجتمع مسؤول عن الموهبة الإبداعية. إن المجتمع يضم الأسرة والمدرسة والبيئة، وكل طرف يجب أن يسهم في رعاية هذه الملكة العظيمة. وأفضل ما ينمّي ملكة الإبداع هو التشجيع. ولم يتحدث المؤلف عن معوقات العبقرية والإبداع، واكتفي بعرض الأمور التي تنمي الملكة. لاريب أن العالم الثالث مليء بالمعوقات، وأوضحها أن الناس أو أكثر الناس فيه يتصرفون كما تقضي أهواؤهم ومصالحهم الشخصية لاكما ينبغي للصالح العام، ويدخل في ذلك الرشاوى والوساطة والعصبية العمياء، فإذا وجد كاتبان، أحدهما مجيد متقن، وثانيهما لا يجيد ولا يتقن، وكان المجيد فقيرا أو لا وساطة له، وكان الذي لا يجيد ذا مال كثير ووساطة عالية، فإنه يرشو؛ ولذلك ينوه به في المجالس، ويعطي الدرجات العلا، فينظر إليه المتقن بعين ملؤها الأسى، وقلب مليء بالضيق بالمجتمع وبطبقة المتحكمين الذين لا يرعون الخير العام. هؤلاء المبدعون المجيدون الذين لا يلقون العدل ولا التشجيع ينصرف أكثرهم عن الإبداع نتيجة الإحباط، وقلة قليلة هم

الذين يتسمون بالتحدي، ويتصفون بالصبر والقوة على المجالدة ويتحلون بالإيمان با لله، والثقة بأنه سيعطيهم أجرهم وزيادة، هؤلاء هم الذين يواصلون العطاء؛ هؤلاء هم الذين ينتجون رغم الظروف الحالكة والجو المظلم، وشيوع الدجالين؛ إن القوة النفسية هي أعظم دافع نحو الإبداع، وكان العرب القدماء يطلقون عليها: " الهمة العالية". وهناك أمثلة كثيرة للمعوقات منها أولئك النقاد الهدامون الذين يحقدون على الشباب المتطلع من ذوي المواهب والثقافة، فتراهم إذا عُرِضَ عليهم عمل من أعمال هؤلاء الفتيان يبدأون بالحكم عليه قبل قراءته ودرسه، ويبالغون في الحط من صاحبه، فَيُجَهّلونه، ويخطئونه، ويشنّعون عليه في مجالسهم إن وجدوا خطأ، فعيونهم تبصر الخطأ الصغير، وتعمى عن الصواب الكبير.

إن المؤلف عني في هذا الكتاب بالإبداع الأدبي وحده، وهذا يتفق مع عنوان كتابه، وقد طرح سؤالا قصيرا غير أنه بالغ الأهمية، هو: لماذا نكتب؟ نحن نعلم أن الإنسان يكتب لعدة أسباب، أهمها:

أ-التعبير عن النفس وأحوالها.

ب - الاتصال بالآخرين بغية إثارتهم؛ لكي يفكروا ويشعروا ويعملوا.

جـ - الهواية؛ إن بعض الكاتبين يكتب لأنه يتمتع بالكتابة أيا كانت، مثلما يتمتع اللاعب بلعبه.

د-الحرفة؛ بعض الناس يتخذ الكتابة مهنة يسترزق منها كما هو حال الصحافيين.

هناك أسباب أخرى، ولكن هذه الأسباب المذكورة هي أعظمها وأعمها. وإذا نظرنا في مملكة الكاتب وجدناها مكونة من عالمين: عالم داخلي وعالم خارجي. ماذا نشاهد في العالم الداخلي للفنان؟ عندما ننظر فيه نرى عجبا؛ نرى عواطف متنوعة، وأفكارا مختلفة، ومُثُلاً متباينة، وصراعا هادئا وعنيفا على حسب الظروف الضاغطة والاختيار والقوى الراغبة وطرق الحياة ونماذج السلوك وأساليبها هذا العالم الداخلي يوجه الفنان، ويحدد مساره، ويجعله متفائلا أو متشائما، ومنه يستمد، فهو نبع ثرّ لا ينضب. والعالم الخارجي هو المحيط بالفنان، سواء أكان الطبيعة أم المجتمع أم ما وراء الطبيعة من عالم الغيب. والفنان الأديب يشعر بالصراع بين جانبي المملكة، وهو يعاني من هذا الصراع، ويحاول جاهدا البحث عن صيغة مناسبة للتعايش السعيد، هذه الصيغة الخيالية هي الأدب، وموضوع الأدب نابع من هذا الصراع الحيوي.

وهناك وسائل تساعد الأديب، وتثري تجربته، منها التأمل في الحياة، والقراءة الواسعة والبحث، وقوة الملاحظة، ومعرفة الفروق بين الأشياء والحدس والرحلات والمشاركة الاجتماعية، واللغة الجيدة، والتدريب الكتابي الدائم الذي يورث المهارة الفنية في التعبير. وما أجمل قول المؤلف: "إن أحسن طريقة لكي تصبح كاتبا هي أن تكتب"ص ٦١.

إن الصيغة الإبداعية تعني رؤية العالم، وهي صورة هادية للمستقبل فيها العقيدة ونظام القيم وفلسفة الحياة وأسلوب المعيشة

ونماذج السلوك، وهي طريق أساسي للإدراك والتفكير والتقييم. وهي خطة عمل ومنهج، وفنون ومهارات ونماذج ونظريات. ويلاحظ القارئ كثرة النقول التي أوردها المؤلف في هذا الفصل السابع الذي عقده للصيغة، والأفضل أن يهضم الكاتب هذه النصوص، ثم يكتبها بأسلوب الخاص، وإن أراد أن يستشهد فليكن ذلك بشواهد قليلة تغني عن كثير. وقد ذكر المؤلف عدة عناصر لصيغة الإبداع، منها:

١-القيم الإنسانية والأخلاقية الدائمة.

٢-الإيثار والعاطفة الحانية والعالمية والخيرية.

٣-السلام والحرية والديمقراطية.

٤-المثالية النفعية والواقعية البرجماتية.

٥-العقلية والحدسية والخيال والدهشة الإبداعية.

٦- البيئة والتأمل في الإبداع الذي أبدعه الله - عزوجل - ثم انعكاس ذلك في الواقع، والتعبير عن الحياة بطرق متباينة ومذاهب متعددة: الكلاسيكية والرومانسية، والحداثة وما بعد الحداثة، والتفاؤل والتشاؤم، والعدم والخلق، والمأساة والملهاة، والخير والشر.

٧- الكلية والروحية والمستقبلية.

٨- الظاهر والباطن.

٩- الرؤية والرحمة.

١٠- الذاتية والموضوعية.

وقد فصل المؤلف القول حول الذاتية والموضوعية في الفصل الثامن، وذكر تعريفات كثيرة لهما، ولكن يمكن إجمالها في أن الذاتية

تعني النظرة النفسية الخاصة للموضوع الخارجي، أو تناول الموضوع كما يتراءى داخل الإنسان نفسه، فهي نظرة داخلية. وعلى النقيض من ذلك الموضوعية التي تعني إبعاد الذاتِ عن الموضوع، فهي نظرة خارجية، تجتهد في أن ترى الشيء كما هو في الخارج، مثلما تنشط في إبعاد العواطف الخاصة عنه. ويعتمد المنهج العلمي في دراسة الظواهر الطبيعية على الموضوعية، ويستند الإبداع الأدبي على الذاتية. غير أننا إذا تدبرنا الحال وجدنا أن الذاتية والموضوعية عنصران متكاملان في أي إبداع، علمي أو أدبي أو فني، والأمر نسبي لا أكثر، إذ لا توجد موضوعية كاملة ولا ذاتية خالصة، حقا إن النقاد يردّون الرّومانسية إلى الذاتية والكلاسيكية إلى الموضوعية، ولكن المتأمل يرى الذاتية الموضوعية خلال الإنتاج الكلاسيكي والرومانتيكي معا، جنبا إلى جنب؛ فنوع النظر إلى الموضوع في حد ذاته ذاتية، واختياره نابع من الذاتية، ثم عرضه بعد ذلك بمنهج علمي أو أدبي هو ذاتي أو موضوعي، وطريقة الوصف أو التحليل تبدو فيها درجة الذاتية والموضوعية. إن استعمال المصطلحين غالبا ما يكون على طريقة التناقض، أي أن الذاتية ضد الموضوعية، ولكن الحقيقة هي أنهما متعانقان متعاونان. هناك تلاقٍ بين العالم الداخلي للفرد والعالم الخارجي أو الطبيعة والمجتمع. وفي حالة الإبداع لايكون هناك تنبه للفصل بين الموقفين وإنما هما يعملان معا مما يدل على تكاملهما وتآلفهما، وليس تضادهما.

٤- **الأنواع الأدبية**: انتقل المؤلف بعد الذاتية والموضوعية انتقالا

حسنا إلى الأنواع الأدبية، أو الفنون الأدبية، وهو المصطلح الذي أفضّل استعماله في اللغة العربية، فعرض فن المقال وفن القصة وفن المسرحية وفن الشعر، وكان يتبع منهجا مطردا خلال هذا العرض، فهو يبدأ بتعريف الفن ثم يعرج على أصوله، ويظهر قيمته، ويحببه إلى الناس، وبخاصة طلاب الدراسات الأدبية، وطلاب الدراسات المستقبلية، وأخيرا يلحق بكل فصل من فصول الكتاب عدة أسئلة مفيدة للتدريب، وقائمة بمراجع أدبية لمن أراد المزيد من العلم في أي فن من هذه الفنون، وكنت أود أن يتبع الكاتب الترتيب الهجائي لتنظيم هذه المراجع لكي تكون الإفادة أسرع، ولكي يكتمل المنهج العلمي لهذا الكتاب الجيد.

٥- يعرف المؤلف المقالة بأنها قطعة نثرية قصيرة، ويرى أن لها شكلين: شكل يغلب عليه عنصر الذاتية وهو المعروف بالإنجليزية بـESSAY ، وشكل يسيطر عليه عنصر الموضوعية، وهو المشهور بـ ARTICLE ، وهو أقرب إلى البحث القصير. ويرجع الكاتب تاريخ ظهور كلمة مقالة ESSAY إلى زمن أقدم من زمن إنشاء الصحف، فالأديب الفرنسي مونتيني هو الذي ابتدعها، وجعلها عنوانا لكتاباته، وقد ورد في هذا الفصل الخاص بالمقالة، وهو الفصل التاسع، أن المقالة ظهرت سنة ١٨٥٠م، ص ٨٣، وهذا غلط تاريخي، والصواب أنها ظهرت عام ١٥٨٠م، ولعل مردّ هذا الخطأ إلى المطبعة، إذ يحدث كثيرا التقديم والتأخير في الأرقام عند النشر، ولكن تجب المراجعة الدقيقة قبل إصدار الكتاب.

ويعتقد المؤلف أن فن المقالة يتضمن مهارات الحياة الأساسية، وهي

مهارات التفكير والاتصال والمهارات الشعبية والمهارات النفسية والعملية ومهارات التغيير والتعليم والمستقبليات ومهارات القيادة.

وأصناف المقالة لدى الكاتب هي:

أ- المقالة القصصية

ب - المقالة الوصفية.

ج - المقالة العرضية.

د- المقالة الجدلية.

هـ - مقالة السيرة.

ولم يشر إلى أن هناك تصنيفا آخر، هو التصنيف الموضوعي، أي بحسب الموضوعات؛ فهناك المقالة الأدبية والنقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والرياضية والفلسفية، وغير ذلك.

والمقالة الجيدة تمتاز بالوحدة بين أجزائها، وتتسم بالنظام وحسن الترتيب لهذه الأجزاء، وتختص بجمال الأسلوب الذي يجذب القراء، وكذلك بالإنجاز الذي يوفر الوقت للقارئ، ويدع له المجال للتفكير. فهي ليست مملة. وتصقل موهبة المقاليّ بالتدريب المستمر والكتابة الدائمة التي تورث الخبرة، وتنمو الملكة الأدبية بالقراءة والتعلم والتأمل والخبرة.

ولما توجه الكاتب إلى فن الشعر عقد فصلا للتمييز بين الشعر والنثر وخاصة القصة، وخلاصة القول فيه أن الشعر يتميز من النثر بالوزن والإيقاع المطرد، وأحيانا يضاف إلى الوزن القافية المنظمة. والتعريف المذكور للشعر في هذا الفصل، أو التعريفات المذكورة،

يذكرنا بتعريف الناقد العربي القديم قدامة بن جعفر للشعر، في كتابه " **نقد الشعر**"؛ إذ يقول: " قول موزون مقفى يدل على معنى " وهذا التعريف بالطبع لايخرج المنظومات العلمية من ميدان الشعر مع أنها ليست بشعر، كألفية ابن مالك في النحو وألفية العراقي في الحديث . فلا التعريفات الإنجليزية التي ساقها الكاتب و لا تعريف قدامة يوفي مصطلح الشعر حقه، ولكنها تحديدات تقريبية، ولو أنهم أضافوا إلى هذه التعريفات أن الشعر يعتمد على الخيال والعواطف والتصوير أكثر من اعتماده على العقل، وأن النثر ضد ذلك، لاقتربوا من حقيقة الشعر، مع الاعتراف بأن التحديد الجامع المانع مستحيل في المصطلحات الأدبية. بيد أن هناك تعريفا ذكره المؤلف هو تعريف صموئيل جونسون يبدو أقرب إلى طبيعة هذا الفن الجميل؛ ولذلك أرى أنه تعريف حسن، ونص التعريف:" الشعر قطعة إنشائية موزونة، وهو فن الجمع بين المتعة والحقيقة بنداء الخيال، وهو يساعد العقل، وجوهره إبداعي" . ص ١٢٥.

وعقب الانتهاء من تعريف الشعر مال الكاتب ناحية القصة ليعرفها، ثم عاد في الفصل الحادي عشر إلى فن الشعر وأقسامه وأنواعه، وكان الأحرى بالمؤلف أن يضم هذا الفصل إلى الفصل السابق، ويفرده للشعر وحده، ثم يوحد الفصل الثاني عشر مع تعريف القصة لأن هذا الفصل مخصص لذلك، وبهذا الصنيع يكون المؤلف قد جمع النظير إلى نظيره، كما كان عليه أن يصنع مثل هذا فيما يخص الفصل الثالث والعشرين وهو بعنوان" المعلم بصفته قدوة"، أي يضمه

إلى الحديث عن المعلم في الفصول الخاصة بالتعليم. هذه وجهة نظري أقدمها، ولا أقصد التقليل من قيمة الكتاب بأية حال، فالكتاب مليء بالمعلومات القيمة، وقد تعب فيه المؤلف، وأنا من النفر الذين يقدرون أعمال المؤلفين والكتّاب مهما اختلفت وجهة نظري؛ إنني أحترمهم وأحبهم وأقدرهم، ومن تقديري لهم إبداء رأيي في أعمالهم، وهو رأي يقصد الأفضل دائما، وهو يعلم أن الأفضل مثال، نحن البشر نقترب منه حينا ونبتعد عنه حينا طبقا للظروف والأحوال، وأكره ما أكرهه أولئك الذين لايعملون ويكرهون أن يعمل الناس؛ إنهم العلة الأولى للتأخر في العالم الثالث، ومثلهم كمثل السوس ينخر في العظام.

يذكر المؤلف أنواع الشعر الإنجليزي، وهي:

الشعر الفلسفي والشعر الغنائي والأنشودة والمرثية والشعر الرعوي والوصف والهجاء والمسمطة(السونيته). وهذه الأصناف كلها من قبيل الشعر الذاتي. وأما الشعر الموضوعي فيضم صنفين هما: الشعر القصصي والشعر الدرامي.

وهناك تقسيم آخر للشعر يعتمد على الشكل وحده، وهو يحتوي على ثلاثة أقسام فحسب، هي :

١- الشعر المرسل ٢- الشعر البطولي ٣- المقطّعة

ويفصل المؤلف القول حول هذه الأنواع، ويبدو أن التقسيم الأول متوارث لدى الإنجليز منذ أن وضع سير فيليب سيدني كتابه (**دفاع عن الشعر**)، بيد أن الحدود غير واضحة جيدا بين بعض هذه الأنواع، فمثلا الفصل بين الشعر الغنائي وشعر الرعاة ليس كاملا؛ لأن

شعر الرعاة نفسه غنائي، غاية الأمر أنه نوع من الشعر الشعبي، وكثير منه لايعرف قائله، وأيضا الأنشودة أو الأغنية تضم إلى الشعر الغنائي، والفارق فقط هو أنها توضع مطابقة للألحان الموسيقية.

وقد حدد المؤلف مفهوم القصة بأنها فن من الفنون النثرية الأدبية التي تصور الحياة. ولها عناصر، هي الحكاية والخطة والمكان والزمان والموضوع والشخصيات والحوار والأسلوب والصياغة ووجهة النظر.

والقصة القصيرة تفترق عن القصة بحجمها، وقد حاول بعض الأدباء تحديد حجمها؛ من هؤلاء الأديب سومرست موم الذي يرى أن أقصرها تتكون من ألف وستمئة كلمة، وأطولها تتكون من عشرين ألف كلمة. ورأى آخرون أن القصة القصيرة هي التي يمكن أن تقرأ في ربع ساعة؛ ولذلك يسهل عرضها في الإذاعة. لقد اقتضى هذا القصر في الحجم أن تتكون القصة القصيرة من عدد قليل من الشخصيات أو شخصية واحدة، وأن تحتوي على حدث واحد أو عدد محدود جدا من الأحداث، وأن يركز الكاتب القصاص لغته وأسلوبه أشد التركيز، حتى إنها تقترب من اللغة الشعرية في تأثيرها. وللقّصة أركان، هي الفكرة والشخصيات والخلفية الملائمة والصراع والبناء المنظم والنهاية المرضية. وأركان القصة القصيرة هذه تقترب من أركان القصة والرواية والرواية القصيرة عند من يصنفون الفن القصصي أربعة أصناف أو خمسة.

والمؤلف من هؤلاء الذين يتجهون هذا الاتجاه، فهو يعقد فصلا

للرواية والرواية القصيرة بعد أن انتهى من القصبة والقصة القصيرة، وتحديد الفرق بين الرواية والرواية القصيرة يقوم على الحجم أيضا وعدد الألفاظ، فالرواية تحتوي ما بين ستين ألف كلمة إلى مئتي ألف كلمة، والرواية القصيرة تشتمل على أقل من ستين ألف لفظة. والنقاد والدارسون الذين اقتدى بهم المؤلف يميلون إلى كثرة التقسيم مع أن الفروق ليست حاسمة، والذي أستحسنه أن الفن القصصي ينقسم إلى قسمين فحسب: القصة والقصة القصيرة.

ويستعرض المؤلف تاريخ القصة، ويثبت أن القصص الواقعية كانت هي السائدة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ثم كثرت القصص المتصلة بالخيال العلمي والرعب والجاسوسية، والقصص المغرقة في الخيال؛ ويرد المؤلف شيوع هذا النوع الأخير الآن إلى ميل الناس المعاصرين إلى الهروب من الواقع.

وظهر اتجاه مضاد للقصة والرواية، وهو نوع من الفن القصصي يعتمد على تحطيم القواعد القصصية التي تعارف عليها الأدباء والنقاد. واصطلح مبدعو هذا الاتجاه على تسميته:" ضد الرواية THE ANTI NOVEL" إن هذا الاتجاه القصصي فوضوي، غير أن له جانبا إيجابيا هو تحرر القاصّ من نير القواعد الصارمة. إن القواعد مفيدة، ولكن إذا تحولت إلى قيود عنيفة شلت حركة العقل النشيط، وقلصت دور الخيال الإيجابي،ولا تصل تلك القواعد إلى هذه الحالة إلا على أيدي النقاد المتعنتين والذين يحلو لهم هدم العباقرة من الشبان. ومن أمثلة هذه الروايات المضادة ماكتبه بي. إس. جونسون، ومنها

"ألبرت أنجلو"، و" التعساء". ص ١٩٤.

كيف تكون الرواية في المستقبل؟ وكيف سيكون حالها؟ يجيب المؤلف بأن هذا الشأن لايمكن التنبؤ به. إن المادية سادت في القرن العشرين، وتقلص دور الاتجاه الأخلاقي. والعالم محتاج الآن إلى إعادة القيم الأخلاقية إلى مجال الأدب، كما هو محتاج إلى إعادتها إلى الحياة المعيشة. يقترح المؤلف أن يوضع منهج ملائم لهذا الهدف يوجه إليه القصاصون، وخاصة الشبان، بعد فهم الطبيعة الإنسانية. وألاحظ أن هذا الاقتراح قريب مما يدعو إليه الأدباء أصحاب الاتجاه الإسلامي في العالم الإسلامي. إنهم يدعون إلى ربط القيم الأخلاقية بالأدب، ويناشدون الأدباء المسلمين الالتزام بالقيم الدينية، بغية إصلاح الحياة، وهذا اتجاه جيد شريطة ألا يتزمت حتى يخنق الأدب والأدباء.

إن المؤلف يظن أن القصة ستتجه في القرن الحادي والعشرين إلى الإمتاع الذي يحقق هدوء الأعصاب بعد مدة من العمل، وأن القصة التليفزيونية ستكون هي المسيطرة؛ لأن التليفزيون وسيلة جذابة مغرية. وكذلك يرى أن القصة القصيرة ستسود لضغط الزمن وضيق الوقت، وأن الأنظار ستلتفت إلى الفن القصصي لاستمداد الخبرة منه؛ لأنه ينطوي على رؤى إنسانية وتصورات للمستقبل وخطط للتقدم الإنساني المسالم. وأعتقد أن ظن الكاتب هذا يعد نوعا من التنبؤ بما ستكون عليه القصة المستقبلية رغم أنه أجاب قبل ذلك بنفي القدرة على التنبؤ بما سيؤول إليه حال القصة في الزمن القادم.

عرج المؤلف على جنوب شرق آسيا، وأخبرنا أن الرواية

القصيرة مشهورة في تلك النواحي، وذكر من كُتّابها الهنود مُلْك راج الذي وضع قصة " **المنبوذ**" في القرن العشرين، وخوشوانت سينغ الذي كتب قصة " **قطار إلى باكستان**"، ومن القصاصين الباكستانيين خالد الحسن، ويلاحظ أن هؤلاء يكتبون باللغة الإنجليزية، وحظ اللغة الإنجليزية في الحاضر حظ سعيد، فكل يوم يضاف إليها من الإبداع العالمي ما يحييها ويجعلها تسود، وللغات حظوظ كما للبشر.

وانتقل المؤلف إلى المسرحية والدراما، فعرفها بأنها شكل أدبي يكتب ليمثل، وأن أصل كلمة" دراما" في اللغة اليونانية يدل على الفعل والتمثيل واللعب. إن المسرحية تعبر عن الحياة وعن التصورات الخاصة بما كان، وبما هو كائن، وبما ينبغي أن يكون. ولتأثير المسرح في عقول الناس وفي قلوبهم اتخذه بعض الناس وسيلة للدعاية لأفكارهم الخاصة واتجاهاتهم السياسية، ومن ذلك ما صنعه الشيوعيون إبان ثورتهم وارتفاع تيارهم واشتداده حتى استقرت دولتهم وبلغت مبلغها من القوة ثم انهارت، وكانوا يطلقون على هذا المسرح اسم " المسرح الحي"، أي المسرح الذي يعنى بشئون الحياة الواقعية.

واتخذ المسرح شكلا آخر وثائقيا، يستمد من التاريخ وثائقه وكذلك من الصحف السيارة والتقارير، وهو عادة يهتم بالقضايا السياسية، ومثاله في الأدب العربي تلك المسرحيات التي تتناول قضية فلسطين. ويقرب من هذا المسرح التعليمي الذي وضع أصوله الكاتب الألماني بريخت. وقد علت نغمة الاحتجاج التعليمية في المسرح البريطاني ضد العنصرية والفقر والجريمة والعنف والنفاق، ومن أعظم

من يمثلون هذا التيار في بريطانيا ديفيد إدجار، وهوارد برينتون ، وإداوارد بوند. ص٢٢١.

يتنبأ المؤلف بأن المسرح الهادف هو الذي سينتشر في القرن الحادي والعشرين لأنه يتناول قضايا الإنسانية اليوم، ومنها قضية التعصب والانفصال والجهل والحرب والسلام وصراع الطبقات والديمقراطية والتسلح النووي والتطور العام، ولذلك فإن العالم الثالث محتاج إلى أدب إبداعي جاد في أي صيغة كان، في قصة أورواية أو مسرحية أو مقالة أو شعر. إن الأدب ذا رسالة عظمى، وقد بدأ ليبقى.

وبجانب الأدب الجادّ تقف الملهاة، وهي ذات أنواع:

١- ملهاة الأفكار ٢- ملهاة المكائد ٣- ملهاة السلوك

٤- ملهاة الأخلاق ٥- ملهاة المزاح.

إن الملهاة تسلينا وتمتعنا، وتعلمنا ونحن نضحك، وهي قديمة غاية القدم ومن كتابها اليونانيين أريستوفان، ومن مؤلفيها الفرنسيين موليير، ومن الإنجليز برنارد شو. وللمسرحية بنوعيها الجاد والهازل قواعد تتقارب مع قواعد القصة، وإلا أنها تعتمد على الحوار وعلى الاقتصاد اللغوي؛ لأن إخراجها على خشبة المسرح يغني عن الإفاضة اللغوية. وقد ظهرت مسرحيات ذهنية تكتب لكي تقرأ، مع أن الأصل في المسرحية أن تكتب لتمثل.

وأنواع الدراما هي:

١-الدراما الكلاسيكية.

٢-الدراما الرومانتيكية

٣-الدراما الحديثة.

إن الدراما الحديثة نتاج العصر الحديث، وهي تتسم بالتحررية والتجريبية والواقعية والنفعية، وهي تدور غالبا حول الناس العاديين من أبناء الشعب، وهي ثمرة الواقعية الديمقراطية. وقد تخلصت هذه الدراما من كثير من قيود أو قواعد المسرح القديم . ص ٢٤٩.

وأورد المؤلف مصطلح الحداثية الذي يعبر عن اتجاه أدبي، وبيّن أنه يبدأ منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)حتى الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩- ١٩٤٥م)، وأكبر ميزة لأدب الحداثة أنه أدب تجريبي. ونحن الآن نعيش ما بعد الحداثةPOSTMODERMISM. ومصطلح "ما بعد الحداثية" ردّ فعل ضد الحداثية التي سادت العالم في النصف الأول من القرن العشرين. ومن اتجاهات " ما بعد الحداثية" الاتجاه الجمعي، وهو يقوم على التسامح ، ويرجع إلى أصول ومصادر سابقة على الحداثية؛ ليضع نماذج للدوافع في الأسلوب والشكل والمحتوى بصفتها تهذيبا للحاجات والاتجاهات والقضايا في الحاضر والمستقبل. ومنها الاتجاه الواقعي السحري الذي يمزج بين الواقع والخيال والحقيقة والوهم والممكن والمستحيل.

إن المسرحية عندما تعرض ــ أية مسرحية قديمة أو جديدة أو حداثية أو مما بعدها ـ أمام النظارة تحدث في نفوسهم تغييرا، ربما كان جذريا، هذا التغيير يعقبه سلوك خاص في الحياة، وهذا يعد من قبيل المستقبليات التي يوجدها الأدب. وأدب مابعد الحداثية يعيد النظر في القيم والأخلاق، وفي الفصل الحاسم بين العلم المادي والقيم

الإنسانية والروحية.

(٤) الدراسات المستقبلية:

علم المستقبليات " ميدان من ميادين النشاط يبحث عن هوية التغيرات القادمة في الحياة الإنسانية وفي العالم، وهو يحللها ويقيمها. وكلمة المستقبليات ترجع إلى المنهج العقلي أكثر من رجوعها إلى المنهج الصوفي في النظر إلى المستقبل، لكنها أيضا تقبل المناهج التجريبية والخيالية والفنية بصفتها إسهامات مقدمة يمكن أن تكون مفيدة وصحيحة". ص ٢٧٩. ويرى المؤلف أن المستقبلية FUTURISM هي النظرية الموضوعة للدراسات المستقبلية، وعلم المستقبليات FUTURISTICS هو التطبيق العملي في الحياة ، ص ٢٨٠. وينقل المؤلف من كتاب إلينورا باربيري ماسيني:" لماذا الدراسات المستقبلية؟" الأسئلة الأساسية التي ينبني عليها هذا العلم ، وهي:

١-ماذا يفعل الرجال والنساء في الكرة الأرضية؟

٢-ما الجيد؟ وما الرديء؟

٣-ما المشاكل التي تواجه البشر؟

٤-كيف يمكن إحداث التغيير؟

٥-ما معنى التاريخ؟

هذه هي القضايا الكبرى في علم المستقبليات، وهي تشمل الوجود الإنساني والمفاهيم الأساسية والعلاقات البشرية وصلة الإنسان با لله جل شأنه.

وقد أنشئ في باكستان معهد الدراسات المستقبلية للعناية بهذا

النوع من الدرس نظريا وعمليا، وهو يمنح شهادة الديبلوم والماجستير والدكتوراه، وله مناهج محددة في لائحة المعهد، وذكرها المؤلف في كتابه هذا ولكنه لامجال لها هنا في هذا العرض الذي يبغي تعريف القراء بالكتاب حتى يقرأوه ويفيدوا منه. وبالإضافة إلى التعليم المستقبلي الذي يؤديه هذا المعهد، فقد نشر هذا المعهد عدة كتب قيمة في مجال المستقبليات، منها كتاب الدكتورة زهرة أعظم: " المرأة في القرن الحادي والعشرين - الأدوار والمسئوليات والحقوق".

هذه الدراسات المستقبلية لها قيمة كبيرة في إعداد الأجيال لحياة أفضل من الحياة الحالية، والمطلوب أن تصير الدراسات المستقبلية فعلا محسوسا بعد أن كانت قولا. وقد علت نغمة الكاتب في التعبير عن فائدة علم المستقبليات ودراستها، وحث الشباب على الالتحاق بهذا النوع من العلم حتى أوشك أن يكون دعاية صريحة للمعهد، كما يبدو في الفصل السابع عشر، وخاصة نهايته. والذي حمله على هذا هو حبه للدراسات المستقبلية.

والعلم المستقبليات علاقة وطيدة بالإبداع والبحث العلمي، فالإبداع مشروع تغييري وتنظيمي، وستكون في القرن الحادي والعشرين قضايا خاصة يأخذ الأدب منها، وينظر في حلها، والأدب المستقبلي دائما ينظر في حل المشاكل. والبحث في شئون المستقبل شقيق الإبداع، وإن كان الإبداع يغلب عليه الطابع الذاتي، فإن البحث يغلب عليه الطابع الموضوعي. وللبحث قواعده الخاصة كتحديد الموضوع وقراءة نصوصه ووضع خطة لدرسه والكتابة عنه. وللبحث

في المستقبليات أصول دقيقة شرحها المؤلف، وله خطط خاصة يجدر أن ألخصها ليكون العرض وافيا، هذه الخطط هي:

١- التفكير في المستقبل، ويشمل التفكير الإبداعي والنقدي والتحليلي والمنطقي والكلي حول المستقبل أكثر من الماضي والحاضر.

٢- قضايا المستقبل، وتحتوي على تحديد الموضوعات الهامة في المستقبل، وفهمها ومعرفة تأثيرها، ووضع البرامج لها.

٣- خطة المستقبل، وهي تختلف عن الخطط التقليدية؛ لأنها نفعية، وهي تعتمد على توضيح المسألة وبيان نتائجها وذكر أهدافها وتحديد الوعي بها وشرح حلها.

٤- العمل المستقبلي، وهو عمل يقوم على التخطيط، والتدقيق من أجل نتائج موثوق منها، ويخصص له وقت كافٍ، ومصادر إجابة ومسئولية.

٥- مراجعة المستقبل، تتم مراجعة خطة المستقبل في ضوء ما يجدّ من حاجات التغيير وتحول الظروف المحيطة؛ ولهذا يمكن التعديل في الخطط المستقبلية، والعمل المستقبلي، وجعله مناسبا للأحوال المتغيرة.

ويلح الإبداع على المؤلف مرة أخرى فيتحدث عن الوظيفة الإبداعية والأسلوب والخلق في الفصل التاسع عشر، ويرى أن أي موظف يود النجاح لابد له من ثلاثة أمور هي التخصص والخبرة والاستقلال الذاتي. ص ٣٣٧. وهي لازمة أيضا لمن شاء أن يتخذ الكتابة حرفة بالإضافة إلى الأسلوب المتميز. ويسوق المؤلف تعريف بوفون الفرنسي للأسلوب الذي يقول فيه:" إن الأسلوب هو الإنسان". ويذكر الأمور التي تجعل الأسلوب مؤثرا بطريقة جيدة. ويفرق المؤلف

بين الأسلوب وعلم الأسلوب، فالأسلوب هو طريقة الإنسان في الكتابة أو الحديث، وعلم الأسلوب هو العلم الذي يدرس الأسلوب ويحلله ويصفه، سواء أكان الأسلوب شفويا أم كتابيا بمصطلحات متطورة.

وفي الفصل العشرين يتجه المؤلف إلى المخاطب مباشرة، ويضع عنوان الفصل هكذا:" أنت بصفتك مبدعا"، ويقدم نصائح لمن أراد أن يكون فنانا مبدعا على من أراد ذلك أن يعرف نقاطا أربعة هي الضعف والفرصة والميل والقوة، فإن كنت تعاني من ضعف معين فلا تستلم، وعليك أن تكافح، وأن تتعامل مع هذا الضعف بحكمة، وأن تجعله منبعا للعطاء الإبداعي، وأما الفرص فهي متاحة، ولك أن تستغلها، فتكتب عن كل مناسبة وما يعنّ لك، وإن لم توجد هذه الفرص فعليك أن تتخيلها، وتستطيع أن تستغل الميول والتوترات في الحياة لتكتب عنها ، وتحولها إلى أدب رائع، تثبت فيه قدرتك الإبداعية، ونظرتك الإصلاحية. والقوة تولد فينا، وأعلى القوة الموهبة الفطرية، وهي تستلزم التعلم الدائم والتثقيف المستمر، سواء أكان منهجيا أم غير منهجي ومع الزمن والتدريب الدّؤوب تنمو الخبرة، ويصير الإنسان ماهرا حاذقا. وكل إنسان يستطيع أن يعرف ميوله، والأحسن أن يشتغل بما يحب، وما تهواه نفسه مما يفيد ويمتع.

وينقسم الإبداع قسمين كبيرين: الأول الإبداع الإلهي، والثاني الإبداع الإنساني. وهذا الإبداع الإنساني يضم الإبداع الفلسفي والعلمي والفني والشعبي والطفولي. وهذا الإبداع الإنساني امتداد للإبداع الإلهي؛ لأن الله وضع في الإنسان قدرة على هذا الإنتاج،

ويفسـر الكاتب ذلك بقوله:"إن الإنسانية خلقت على صورة الله". ص ٣٧٠.

"HUMANITY HAS BEEN CREATED IN THE IMAGE OF GOD" ولاشك أن هذه العبارة ترجمة للحديث المشهور: خلق الله آدم على صورته ولشراح الحديث والمتكلمين والفلاسفة كلام كثير حوله، وكذلك لعلماء الجرح والتعديل والمحققين من المحدّثين قول مبسوط في كتبهم، لانجال لإيراده في هذا المقام غير أن تفسير المؤلف الكائن في ترجمته هنا تفسير لطيف؛ فقد جعل الصورة هنا صورة الإبداع والانتاج النابعة من القوة الذاتية. وجدير بالذكر أن الكاتب لم يشر إلى أن هذه العبارة ترجمة لحديث، وإنما وضعها في نسج كلامه دون تنصيص على طريقة التضمين في البلاغة العربية.

والقدرة التي وضعها الله في التركيب الإنساني تحتاج إلى تطوير ورعاية، ويتولى هذه الرعاية الأسرة والمجتمع باحترام هذه الطاقة لدى الفرد، خاصة إذا كان طفلا، والتجاوب معها.

وخصص المؤلف الفصل الثاني والعشرين للإسلام والقيم الدائمة للتعليم، وربما كان الأحسن لهذا الموضوع أن يكون متصلا بالفصول الخاصة بالتعليم في بداية الكتاب، بيد أن المؤلف رأى أن يصله بالإبداع على أساس أن يكون للمبدع المسلم موقف خاص يميزه من غيره من المبدعين. وقد بيّن الكاتب أن غاية الإسلام من التعليم هي إيجاد الإنسان الكامل الذي يعرف حقوقه، وواجباته، نحو الله والخلق. وقد وضح الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم سبل تكوين هذا الإنسان الكامل، وأظهر صورة الأنبياء والمرسلين ولاسيما صورة النبي محمد –

صلى الله عليه وسلم - لكي يقتدي بها الناس، وخاصة المسلمين. وإذا أدى الإنسان حق الله وحق الناس تحقق له السلام الروحي الذي هو أساس الإبداع القيم والفن الجميل.

وبعد هذا أثبت الكاتب ثلاث قصص من إبداعه في الفصول التالية، وهي قصص رمزية تصلح أن تترجم إلى اللغة العربية، كما وضع مجموعة قصائد من نظمه عن المستقبليات، إحداها بعنوان:" عام ألفين" . هذه القصائد رسم فيها صورة للغد المأمول كما تخيله بخياله. ويختم الكتاب بملحقين اثنين: أولهما عن التقطيع الشعري، نقله من كتاب ويليم هنري هودسن **" مقدمة للدراسة الأدب"**، وثانيهما تعريفات لمصطلحات تستعمل في الإبداع. ثم فهرس بمراجع ومصادر مختارة لمن أراد المزيد العلمي فيما يتعلق بكل ما ورد في الكتاب من موضوعات.

شيء طيب أن يفكر المسلمون في المستقبل بعد أن فاض نهر التفكير في الماضي، وزاد التعلق بما انتهى حتى كاد ينسينا حاضرنا . حقا إننا ينبغي أن نستمع إلى صوت الشيخ الذي يحن إلى سالف عهده؛ لنستفيد منه خبرته الطويلة، ونلحقها بخبرتنا الحاضرة، وعلينا ألاّ نقف عند هذا الحد، بل علينا أن نمد أعيننا إلى المستقبل، وأن نعد له العدة قدر طاقتنا. إن الإبداع المستقبلي لاينقطع عن الماضي، ولاينفصم عن الحاضر ، ولكن يلزم أن نمنحه من طاقتنا وفكرنا مثل مانمنح الماضي، على الأقل. لقد سعدت بهذا الكتاب الذي ألفه الدكتور إكرام أعظم، واستفدت من قراءته طردًا وعكسا، وأدعو الله لنا وله بالتوفيق.